يتوقَّف إلى حد بعيد على مدى توفيقه في استغلال الخواص المتعدِّدة للدوال في مستوياتها المختلفة ، ومن هنا تناول النقادُ هذه الدوال في حالة إفرادها وفي حالة تركيبها ، كما تناولوها من حيث المحاسن الراجعة لأفراد حروفها. ولعل سؤالا يطرح نفسه الآن ، وهو : هل دراسة هذه المستويات تفيد إفادة حقيقية بالنسبة لبناء الأسلوب ؟

الحق أن نمو البحث اللُّغوي القديم فيما يتصل بالمفرد قد ضم مساحة كبيرة كانت محجوزة للنقد الأدبي ، ومن هنا اتصلت مباحث اللفظة بطبيعة الأسلوب ، وساعدت الدروب المتشعبة للبحث البلاغي على تأكيد صلة هذا المستوى من الدِّراسة بفن التعبير الأدبي . ونقطة الضعف التي تواجهنا في هذا الصدد تأتي من الاعتقاد السائد بأن هناك أشكالاً محدَّدة وقوالبَ مسبقة تصبُّ فيها اللفظة ؛ لتصبح مطابقة للمواصَفات اللغوية والبلاغية ، وتأخذ أحقيتها الكاملة في عملية بناء الأسلوب .

ولا شك في أن البلاغة والنقد القديمين قدما لنا مراجعَ عديدة تتوفر فيها كمية هائلة من النصائح والتوصيات مقسمة ومصنفة ، وافتقادها يعرض الأسلوب للنقد اللاذع الذي ينتهي إلى سلب صفة الأسلوب منه . ولكن من المؤكد أن الأسلوب قد ارتبط أساسًا بطرق متنوعة في التعبير تحدها علاقات تركيبية لغوية ومعجمية منظمة ، وبهذا يكون للأسلوب استقلال متميز عن الفرد ، بحيث لا يطلب فيه إلا ملاءمته للشيء الذي يعنيه . ولا يعني هذا أن يتمَّ التطابق الكامل بين مفردات هذا الأسلوب ومدلولاتها التي نعايشها في حياتنا اليومية ؛ ذلك أن اللفظة – وإن أخذت مفهومًا واضحًا في أذهان كثير من الناس – تظفر بجدل كبير بين اللغويين الذين حاولوا تحديد